الله بالطريقة النسبية ، اي ان اطلاقها نفسه مبني على عدم الاطلاق ، وان عدم الاطلاق هذا يفهم على نحوين الاول انها غير مطردة في الميدان الحسي اطرادها في الميدان المجهري ، الثانى انها غير ثابتة على مر الازمان، الا من حيث اسمها ، وهنا نجدنا على ابواب محور الموضوع ، الا وهو « مبدا الذاتية » ونصيب الحقيقةمنه.

ونبتدىء هنا بسؤال بديهي في هذا المقام ، وهو انه اذا كان للحقيقة هذه الطبيعة الناقصة من « الثبوت ـ المتغير » فكيف اذن يمكن العلم ، وكيف يمكن التصرف بالاشياء والتعامل مع الناس ؟ وبما ان هذه الامكانات متحققة فعلا فى الواقع ،فهل لا يدلنا ذلك على ان الحقيقة هي « اسمى مما وصفناها به ؟ »

ان محاولة الاجابة على هذا التساؤل تعني فى الوقت نفسه محاولة الاجابة على مكونات الحقيقة ، على كنههما وجوهرها (١) ، وعلى الرغم من اغراق ذلك فى الميتافيزيك وشعبه بين التحليل الصوري للواقع والتحليل المادي له فانه ليمكن ان يقال ان الحقيقة ما دامت تعني انها تعبير عن الواقع ـ او هكذا يزعم لها،وما دام الواقع على ما سبق ان رأينا ، مكونا من الثابت والمتغير معا ، فيلزم ان تكون هي الاخرى ـ بحكم الزعم ـ مشتملة كذلك على الثابت والمتغير معا ، اي على الناحية الصورية الذهنية للثابت والمتغير ، ولكن فكما ان الواقع متدرج رغم التباين بين عالميه الحس واللاحسى، كذلك ليس من فواصل معلمة محدودة دائما وابدا بين عنصري الثبات والاستقرار المتكونة منهما الحقيقة ، وذلك ايضا رغم امكانية وفعلية تغلب بروز احد العنصرين على الاخر .

ويمكن ان يقال بعد ذلك الاحتراز ان الافكار الاولية المعروفة بـ « مبادىء الفكر » لهي بمثابة العنصر الثابت من الحقيقة . واما المتغير فهو ما يتوصل اليه الفكر بواسطة هذه المبادىء نفسها من استنتاجات وقضايا وقوانين، موازية لما تدعي تمثيله من الواقع ، فهي من حيث تعبيرها عن جانبه الحركي فقط ، مجرد فرض للتفسير الموقت لا تردد فى نبذها وتعديلها كلما اقتضى تطور العلم ذلك بل ان تاريخ العلم كله ليس سوى اعادة تجديد للنظريات على اسس جديدة استنادا لخطأ الأسس القديمة ـ غير انه مهما كان فى تاريخ العلم من نبذ او تبديل ، فانه لا امكان لتبديل المبادىء نفسها التي تقوم عليها الفروض (جملة القضايا والقوانين) المتغيرة رغم ما تثير هذه المبادىء من بعض الصعوبات على ما سيأتي في موضعه .

واهم هذه المبادىء هو المعروف « بمبدا الذاتية » او « مبدا الهوية » وعرضه هو موضوع الجزء التالي من الدراسة . اما الجزء الذي يلي بعده ، وهو الاخير فلمناقشة المبدا ومحاولة تقديم الاقتراحات بصدد ما يثيره من المشاكل والصعوبات . .

الجنيدي خليفة

---

(١) استعمل الكلمتين كاطار لغوي فقط دون ان التزم بمدلولهما الفلسفي ، وسوف يرد ما يوضح المعنى الحقيقي لمثل لفظة الجوهر .

كلمات منكسرة

بين مركز ناظم حكمت العقائدي ومركزي العقائدي اختلاف جذري . ولكن ما حدث ان مست اوتار قلبي كلمات مثلما فعلت كلماته البسيطة ...

قل لي يا ناظم ما تجدي الكلمات
ما تجدي لفظة « يا ويلي ! ان « الرائع » مات »
ما يجدي ان نصرخ « أغرب يا موت أيا كافر »
أنعيد دبيب النبض الى جسد الثائر ؟
ما تجدي كلمات منكسره
من نفس منكسره
في زمن مكسور الخاطر ؟
قل لي ما أجدت كلماتك انت أيا شاعر ؟
يا أنبل من غنى الانسان وغنى اشراق المستقبل ، أدمى الحنجرة غناء
قل لي يا ملك الشعراء
هل أرجعت الاشعار بكارة هذا الزمن العاهر ؟

* * *

هذا زمن اهتك
هذا يا ناظم زمن ما انفك
يجعلنا لا ندري هل نبكي ام نضحك
هذا زمن تلد الايام به كل عجيبه
الوعي سياط
والادراك مصيبه
والطيبة غرقى في الدم
هذا زمن أضناه العقم
فهوى أجرد مقتول الحس
لا يلد سوى الرعب اليابس
والريبة والشك المذعور
هذا يا ناظم زمن مجرم !
مجنون من يسمع فيه ،
من يبصر ،
من يعلم . .
مجنون من يحمله على كتفيه ،
يتذمر أو يهتم
فالعاقل في هذا الزمن الاهتم
من خاط الاسلاك على فكيه ،
رفع يديه ،
أرسل دمعات
واستسلم .

عبد المجيد عبد الرحمن
رابطة ادباء جامعة الخرطوم